توجهات المملكة العربية السعودية الخارجية في عهد خادم الحرمين الشريفين

قراءة في خطب الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود وكلماته

أ. زيد بن علي الفضيل
إدارة التعليم والثقافة - وزارة الدفاع والطيران - الطائف

المقدمة:

اتفق علماء السياسة الشرعية في الإسلام على أن الخلافة هي حراسة الدين وسياسة الدنيا، ولم يختلف اللغويون في تعريف كلمة السياسة عما ذهب إليه الفقهاء الشرعيون، لكن الإشكال - إن جاز التعبير - هو في التباين الاصطلاحي الذي عاشته السياسة نفسها؛ فهي وإن كانت عند ابن منظور اللغوي بمعنى القيام على الشيء بما يصلحه(١)، فإنها في قواميس علم السياسة الحديثة تعني فن التعامل بالممكن، ولا شك أن البون شاسع بين التعريفين؛ فالأول مرتكز على قاعدة الإصلاح دون مواربة أو تحايل، والآخر مستند على المراوغة ؛ فتُبنى القرارات وتوجه الخطا بحسب ما تقتضيه المصالح دون حساب للقيم؛ فلا عهود ولا مواثيق ثابتة يمكنها أن تحكم علاقة البشر بعضهم ببعض، وهو ما يتعارض مطلقا مع القواعد الرئيسة لطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم من جهة، وبين الدولة وجاراتها

---

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت، ج٦ ، ص ١٠٨ .

من جهة ثانية بحسب ما قعده الفقهاء الشرعيون في الإسلام، المنطلقون في ذلك من ثوابت دينية راسخة، وقيم أخلاقية ضاربة بأوتارها في أعماق الزمن.

ولعل الاختلاف في المصطلحين هو ما أوقع الكثير من العلماء والمفكرين الذين لاكوا السياسة بأفواههم، وخاضوا تجاربها في حالة من الإحباط النفسي الذي نستشفّه من استعاذة الشيخ محمد عبده - رحمه الله - من السياسة بقوله : «أعوذ بالله من السياسة، ومن لفظ السياسة، ومن معنى السياسة، ومن ذكر السياسة، ومن كل بلد تذكر فيها السياسة، ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس»(٢).

لقد تطورت المفهومات السياسية، وأخذت صيغًا متعددة خلال القرن الميلادي المنصرم؛ فمن مفهوم شمولي إلى آخر فردي، ومن طابع شيوعي صلف يذيب الفرد لمصلحة الجماعة، ويحرك الجماعة لمصلحة الفرد، إلى منهج رأسمالي يكرس السلطة في المال، ويحرك المال لخدمة السلطة، وغير ذلك من المفهومات التي انتشر دعاتها في بقاع العالم، وكثر أبواقها في مختلف الوسائل الإعلامية، آخذين في تدعيم أفكارهم وترجيحها، ومن ثم تثبيتها على أرض الواقع بكل السبل والوسائل المشروعة وغير المشروعة.

في هذا الجو السياسي القاتم، وخلال هذه الحقبة التاريخية، تكونت الدولة السعودية الثالثة (المملكة العربية السعودية) بقيادة الملك المؤسس الراحل عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود الذي وجد نفسه جزءًا من الصراع الدولي في ذلك الوقت بكل مشتقاته الفكرية، ومتغيراته العسكرية والسياسية، فتمكّن ببصيرته الثاقبة، ومرجعيته الصافية، من أن يشق له طريقًا سياسيًا مغايرًا لمقاييس تلك الفترة المادية، أساسها - حسب تعبيره يرحمه الله - "الدين

---

(٢) التويجري، عبدالعزيز بن عبدالمحسن ، رسائل خفت عليها من الضياع، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دار الناشر العربي الدولي، بيروت، ص ٣١ .

والمروءة والشرف"(٣)، مؤمنًا بقضايا الأمة، عاملا على تحقيقها، لا لغايات دنيوية في نفسه، ودون النظر إلى الحالة التي سيكون عليها حين ذاك، وإنما لهدف أسمى من ذلك، قوامه المصلحة أولاً وثانيًا وثالثًا، وليس أدل على ذلك من قوله : "إني على استعداد لأن أكون جنديًا بسيطًا أجاهد في سبيل العرب، وتوحيد كلمة العرب، وتأسيس الوحدة بين العرب"(٤)، ولذلك فإنه لم يكن من صفات هذه النفس التواقة إلى الوحدة والإخاء الرغبة في السيطرة على الآخرين، لكونها لا تأبه بالسلطة لذات السلطة، بل ترغب في السلطة لخدمة من وراءها من الضعفاء والمساكين الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلا، ولعل مما يؤكد ذلك قوله - يرحمه الله - في إحدى المناسبات: "لست من المحبين للحرب وشرورها، وليس أحب إلي من السلم والتفرغ للإصلاح"(٥). بهذا النهج، وعلى هذه الأسس قامت المملكة العربية السعودية، وتحدد خطابها السياسي الخارجي، وعمل خلفاء الملك المؤسس عبدالعزيز يرحمه الله على الالتزام بها وجعلها أساسًا حيويًا في جميع تعاملاتهم السياسية على الصعيدين الداخلي والخارجي.

وإذ نناقش اليوم منطلقات السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية خلال هذا العهد الميمون - عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله - ليتحتم علينا الأخذ بالحسبان لتلك الأسس التي قامت عليها المملكة، في بناء علاقاتها الخارجية، وفي توجيه خطابها السياسي بصورة عامة، المرتكزة على ثوابت العقيدة الإسلامية السمحة "التي لم تفرق بين أحد وآخر، ولا بين جنس وآخر، محققةً عدالة السماء التي أنزلها رب العزة والجلال

---

(٣) من كلام الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه، انظر : الزركلي، خير الدين، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م ، دار العلم للملايين، بيروت، ص ٤٨ .

(٤) الزركلي، مصدر سابق، ص ٥٥ .

(٥) المصدر السابق، ص ٤٨ .

على نبيه محمد ﷺ" والمستندة على قاعدتي الحق والعدل، كما عبر بذلك خادم الحرمين الشريفين في العديد من خطاباته للأمة الإسلامية(٦)، والآخذة بعين الاعتبار مصالح الدول والشعوب كافة، والمنطلقة من الحرص المتوازن على تفهم تلك المصالح، وإدراكها، وعدم تجاهلها(٧). بالإضافة إلى ذلك فإنه يتحتم علينا أيضا البحث عن الوثائق الرسمية المبينة لطبيعة تلك العلاقات ومرتكزاتها.

ومع عدد الوثائق الرسمية التي يمكن الاستشهاد بها على طبيعة توجهات المملكة العربية السعودية السياسية خلال هذا العهد الزاهر، إلا أنني سأركز خلال هذا البحث على ما عبر به جلالته في العديد من خطاباته الدولية والإقليمية والمحلية لكونها وثيقة رئيسة، وذلك لمعرفة الرأي السياسي للمملكة إزاء مختلف القضايا الدولية، وبخاصة فيما يتعلق بقضية الوحدة العربية الإسلامية، والقضية الفلسطينية، معتمدًا في ذلك على ما قامت به دارة الملك عبدالعزيز برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض ورئيس مجلس إدارة الدارة من مجهود كبير، في جمع ونشر الخطب الملكية لقادة هذه البلاد والتي جعلتها مصدرًا أساسًا لهذا البحث، ومستعيناً في الدرجة الثانية بمختلف المراجع التي تناولت الموضوع بصورة أو بأخرى.

منطلقات الوحدة العربية والإسلامية:

نستطيع القول بكل فخر واعتزاز: إن المملكة العربية السعودية هي دولة التوحيد الأولى التي نشأت خلال القرن الميلادي المنصرم، ولا غرابة في ذلك فقد ارتكزت في منطلقاتها الفكرية والسياسية على قاعدتي التوحيد والعدل، وذلك منذ الوهلة الأولى التي تكونت فيها

---

(٦) من خطب خادم الحرمين الشريفين أمام حجاج بيت الله الحرام سنة ١٤٠٢هـ، مختارات من الخطب الملكية، جمع دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ، ج٢، ص ١٣٣ و ص ١٣٩.

(٧) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٨٠.

على يد الإمام محمد بن سعود المتوفى سنة ١١٧٩هـ؛ فما أن عمل حكامها بعدئذ على تأكيد أواصر الوحدة والإخاء حتى عاد للجزيرة العربية شملها، بعد شتات دام أكثر من ألف سنة على أقل تقدير، غطت خلالها في سبات عميق، وتاه سكانها في صراع مرير، منذ أن انتقلت عامة الخلافة الإسلامية من أرضها إلى بلاد الشام والرافدين وصولا إلى الآستانة عاصمة العثمانيين، الأمر الذي انعكس سلبًا ليس على طباع قاطنيها السلوكية وحسب، بل امتد ليشمل أثره كلَّ من فكر باختراق سكونهم الساحق بحثًا أو زيارة أو حجا، وبالتالي فإنها ما أن قامت هذه الدولة الفتية حتى أخذت على عاتقها العمل على إعادة وحدة الصف العربي في أرض العرب الأولى، انطلاقًا من المبادئ الإسلامية التي تحضّ على ذلك مصداقا لقوله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(٨)، وقوله : ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾(٩)، فكان أن عادت الروح إلى صاحبها، وتفتقت العقول بخيراتها، وانطلقت الأنفس بمودة ورحابة صدر.

إن العمل على تحقيق الوحدة العربية والإسلامية ليس شعارًا إعلاميًا ترفعه حكومة المملكة العربية السعودية، وليس ستارًا تعمل من ورائه لأغراض شخصية أو مادية، بل هو مبدأ إيماني أساسه العمل بروح الإسلام، روح الفضيلة والخلق القويم، وقد تمثّل ذلك منذ الوهلة الأولى في الكثير من خطابات قادتها السياسيين، وعلى رأسهم الملك عبدالعزيز - رحمه الله - الذي أهاب بصدق وإيثار بضرورة وحدة المسلمين بقوله : "أنا مسلم، وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين، وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين ولو على يد عبد حبشي، وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية في سبيل ذلك". وأضاف : "أنا عربي، وأحب عز قومي، والتأليف بينهم، وتوحيد كلمتهم، وأبذل في ذلك مجهوداتي، ولا أتأخر عن القيام بكل

---

(٨) سورة آل عمران، الآية : ١٠٣ .

(٩) سورة الأنفال، الآية : ٤٦ .

ما فيه المصلحة للعرب، وما يوحد أشتاتهم، ويجمع كلمتهم"(١٠)، كان ذلك ولا يزال هو ديدن العمل السياسي الوحدوي لدى صناع القرار في هذه البلاد الكريمة، دون أن يكون هناك رغبة في التسلط على الآخر، أو فرض إجراء قسري على توجهه الوحدوي، انطلاقًا من قناعتها الثابتة بأن الوحدة خيار وليس أمرًا، وهو ما انعكس بعد ذلك على كل ردود أفعالها السياسية والإعلامية في لحظات التوتر العربي - في فترة الخمسينيات والستينيات وحتى فترة التسعينيات من القرن المنصرم - المتسمة بالعقل، الحريصة على لملمة الجراح والبعد عن أي مسلك قد يوجب الندم يوما من الأيام، مقتنعة بأن الإعلام أمانة في يد راعيه، يوجهه للخير والإصلاح.

وانطلاقا من هذه القناعة السامية لم تنزلق وسائل إعلام المملكة فيما انزلقت فيه بعض الوسائل الإعلامية العربية الأخرى خلال فترات التوتر العربية سابقة الذكر، بل حافظت على قيمها وأخلاقها، وعلى إيمانها بوحدة الصف العربي الذي لن يتأتى له ذلك في حال الانغماس في ردود الأفعال الصاخبة، وما أجمل وأحكم قول الملك فيصل بن عبدالعزيز - يرحمه الله - حال رده على سؤال مندوب جريدة اللوموند الفرنسية عن رأيه في تهجم الرئيس عبدالناصر عليه معطيًا - حسب رأي معالي الأستاذ جميل الحجيلان - درسًا في التعفف والضبط الكريم للنفس حين رد بقوله: "نحن إخوان، وعلى الأخ أن يتحمل تجاوزات أخيه"(١١).

بهذا المنطق واجه حكام المملكة ابتداء من عهد الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود - يرحمه الله - حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله جميع المهاترات

---

(١٠) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ج١ ، ص ٧٥ .

(١١) الحجيلان، جميل إبراهيم ، محاضرة بعنوان الدور القيادي للملك فيصل في العالم العربي، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٦هـ. وقد تم توزيعها برفقة مجلة الفيصل، عدد ٢٣٧ .

اللفظية الموجهة إليهم حكومة وشعبًا، ومن خلال هذا المسار ارتسمت منطلقات العلاقات الخارجية للمملكة العربية السعودية بصورة دائمة، وهو ما أكده مرات عديدة خادم الحرمين الشريفين – يحفظه الله – الذي سار على خطا والده في تعميق أواصر الوحدة العربية والإسلامية(١٢).

لقد شغلت الوحدة العربية والإسلامية حيزًا كبيرًا في تفكير ووجدان الملك فهد بن عبدالعزيز، فدعا إلى تفعيلها وفقًا للأسس السليمة في كثير من المحافل الدولية والإقليمية والمحلية، مؤكدًا على أن المملكة ما هي إلا واحدة من دول أمة الإسلام "هي منهم ولهم"؛ "يهمها ما يهم العرب والمسلمين، وتحرص على تضامنهم وجمع كلمتهم، وتسهم بكل طاقاتها فيما يعود عليهم بالخير"(١٣)، مشيرًا في الوقت نفسه وبشجاعة وفطنة في أكثر من موضع إلى أن الحواجز التي تعيق الأمة العربية والإسلامية عن إتمام وحدتها بالصورة المطلوبة ما هي إلا نتيجة خوف عدد من الدول الكبرى على مصالحها الذاتية، لافتًا النظر إلى أنه من الضروري "أن تبنى صداقاتنا مع الدول المختلفة على أساس الند للند، وليس على أساس الخضوع والخنوع"(١٤).

وانطلاقا من هذا المبدأ القائم على المساواة، المنبثق من قواعد الحق والعدل، فقد أهاب خادم الحرمين الشريفين بالدول العربية والإسلامية استبدال اعتمادها على الدول الكبرى والشرقية والغربية في تثبيت أطرها السياسية بالاعتماد على الله ثم على تكاتف المسلمين والعرب بعضهم مع بعض، والإيمان بالقدرات العربية، والارتكاز على الثقة الإسلامية المشتركة، مؤكدًا على حقيقة "النتائج

---

(١٢) مختارات من الخطب الملكية، ج٢ ، ص ٣٩١ .

(١٣) المرجع السابق، ص ١٣٢ ، ص ١٣٧ ، ص ٢٧١ .

(١٤) المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

والإنجازات العظيمة التي يمكن تحقيقها بالعمل المشترك إذا قام على أساس الثقة والإيثار والإخلاص لشعوبنا وأهدافنا العليا" حسب قوله يحفظه الله(١٥).

لقد أدرك الملك فهد بن عبدالعزيز منذ الوهلة الأولى بأن الوحدة الحقيقية لا تبنى بالأماني والتمنيات، كما لا يكتمل عودها بالنفاق والمداهنة، بل تحتاج إلى نية صافية، وعمل دؤوب يحركه الإيمان الكامل بالقضية والهدف، الداعي إلى التعامل بشفافية، والمكاشفة الصادقة بهدف تصفية القلوب والأنفس، والوصول إلى نبذ مجمل الخلافات، من واقع "القدرة على مواجهة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية والعالمية بحلول إسلامية مستلهمة من روح الشريعة السمحة"(١٦)، وهو ما سيؤدي إلى توثيق روح العمل الجماعي الذي يعد "الصفة المميزة لنجاح الأمة الإسلامية، والداعم لها في مواجهة التحديات"(١٧) حسب قوله.

وانطلاقًا من ذلك فقد حرصت المملكة على تحقيق أهداف القمم الإسلامية والعربية وتوصياتها، وعملت على الالتزام بمواثيق الجامعة العربية، مع سعيها الدؤوب لإقرار السلام في المنطقة، واستتباب الأمن بها، جاهدة في المحافظة على الصلات القوية الرابطة بينها وبين أشقائها من الدول العربية والإسلامية والصديقة القائمة على أساس واضح من الاحترام المتبادل، سالكة مبدأ التشاور بكل شفافية وصراحة ووضوح مع مختلف الدول العربية والإسلامية في الأمور المتعلقة بالقضايا المصيرية للأمة، دون أن تنفرد بقرار، أو

حرصت المملكة على تحقيق أهداف القمم الإسلامية والعربية وتوصياتها، وعملت على الالتزام بمواثيق الجامعة العربية

---

(١٥) المرجع السابق، ص ١٤٣ و ١٤٤ .

(١٦) المرجع السابق، ص ١٥٢ .

(١٧) المرجع السابق، ص ١٥٠ .

تخرج مغردة خارج السرب، لإيمانها بأن يد الله مع الجماعة(١٨).

وفي هذا الإطار عملت المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها على يد - المغفور له بإذن الله - الملك عبدالعزيز آل سعود على دعم التضامن الإسلامي بصوره المختلفة من واقع دعوته المبكرة سنة ١٣٤٥هـ الموافق ١٩٢٦م للعلماء ورجال الأمة لعقد مؤتمرهم الإسلامي الأول في القرن العشرين الميلادي، ولم يتقاعس خلفاؤه من بعده عن حمل راية هذه الدعوة وصولاً إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز الذي أخذت المملكة في عهده وبتوجيه مباشر منه في "دعم كل جهد إسلامي جماعي فيه وحدة الكلمة والموقف"(١٩) عبر آليات منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي الواضحة، واستنفرت من أجل ذلك كل طاقاتها لحثّ "جميع الأشقاء للعمل على تقوية دور المنظمة والرابطة وأثرها في الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية في البلاد الإسلامية"(٢٠).

وإيمانًا منها بروح التكافل الإسلامي، وتفعيلا منها لهذه الدعوة الصادقة، فإن المملكة لم تستأثر بمواردها المالية لنفسها فقط، ولم تقصرها على شعبها فحسب، بل عملت على مساعدة مختلف الدول الإسلامية للنهوض بإنسانها، وتطوير ملكاته وقدراته بالشكل الذي يسهم في تعميق الوحدة العربية الإسلامية، إدراكًا منها لأهمية توافق التطور الاقتصادي والاجتماعي كأساس لنجاح أي وحدة يراد

---

(١٨) من حديث خادم الحرمين الشريفين الملك فهد يحفظه الله مع حجاج بيت الله الحرام سنة ١٤٠٩هـ، وكذلك خلال افتتاحه لأعمال مجلس الشورى خلال دورته الثانية من السنة الثانية ١٤١٩هـ، انظر : مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ج٢ ، ص ١٨٠ ، ص ٣٧٩ .

(١٩) من كلمة وجهها خادم الحرمين الشريفين إلى حجاج بيت الله الحرام سنة ١٤٠٩هـ، انظر: المرجع السابق، ص ٢٢٨ .

(٢٠) من كلمة وجهها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد إلى حجاج بيت الله الحرام عام ١٤٠٢هـ، انظر : المرجع السابق، ص ١٤٤ .

إتمامها. وإذا كان ذلك هو ما قررته المجموعة الأوربية مؤخرًا لتفعيل وحدتها الاقتصادية ومن ثم السياسية والاجتماعية، فإن المملكة قد أدركته منذ فترة مبكرة، وعملت على تحقيق ذلك منطلقة من قناعتها الدينية الراسخة، وقيمها الخلقية الثابتة. وعليه فقد بلغت حجم المساعدات السعودية للدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي خلال فترة حكم خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله - نحو (١٠٤ مليارات ريال سعودي)، وبلغ حجم مساعدات المملكة خلال هذه الفترة للدول النامية نحو (٥٥ مليار ريال سعودي). بالإضافة إلى ذلك بلغت التزامات الصندوق السعودي للتنمية في الفترة من ١٩٧٤م إلى ١٩٩٠م حوالي (١٦,٢٣ ألف مليون ريال سعودي) لتمويل ٣١٩ مشروعًا في أكثر من ٦٠ بلدًا، ووصل حجم المساعدات المالية للدول الإسلامية في مجال الرعاية الصحية والاجتماعية في الفترة من ١٣٩٢هـ حتى عام ١٤١٠هـ أكثر من (أربعة آلاف مليون ريال سعودي)(٢١). تجدر الإشارة هنا إلى أن جميع المساعدات المالية السعودية قد توجهت لبناء الإنسان ونمائه ليسهم إسهاما إيجابيًا في خدمة أمته والإنسانية؛ فتركزت تلك المساعدات على بناء المساجد والمدارس والجامعات وغيرها من أعمال الرعاية والاهتمام المتفق عليه دوليًا.

وفيما يتعلق بالعلاقات العربية العربية، والعربية الإسلامية، فقد سارت المملكة منذ عهد المؤسس الملك الراحل عبدالعزيز - يرحمه الله - حتى عهد خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله - على سياسة الوفاق والحوار في مختلف القضايا الخلافية للوصول إلى النتائج المرضية للطرفين استنادًا إلى القاعدة الشرعية التي تنص على أنه (لا ضرر ولا ضرار)؛ فنبذت الحرب، وحضّت على السلام،

---

(٢١) من كلمة لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد وجهها إلى حجاج بيت الله الحرام عام ١٤١٤هـ، انظر: المرجع السابق، ص ٣١٠ - ٣١٣.

وكرهت إراقة الدماء دون وجه حق، والمزايدة والخضوع إلا لله عز وجل(٢٢)، ودعت إلى احترام السيادة لكل دولة، معلنة بصفة دائمة رفضها القاطع للتدخل في تقرير الشؤون الداخلية لكل دولة(٢٣).

وعدّت في الإطار نفسه أن كل خلاف عسكري ينشب بين دولتين جارتين إسلاميتين على وجه الخصوص يصب في مصلحة أعداء الأمة الإسلامية، ولهذا فقد بادرت المملكة إلى إرسال الوسطاء السياسيين، وعملت على دعم توجهات الدول الصديقة الرامية إلى تعزيز السلم في المنطقة، وصرحت في أكثر من محفل دولي وإقليمي ومحلي برغبتها في أن يسود الأمن والأمان ربوع العالم ومنطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص، وعليه فقد عبرت المملكة عن رفضها القاطع للحرب بين الجارتين العراق وإيران التي امتدت قرابة ثماني سنوات، وكرهها لاستمرارها، ورغبتها في تغليب العقل والحكمة، مصرحة بذلك على لسان قادتها وعلى رأسهم الملك فهد بن عبدالعزيز الذي أعلن عن رغبته تلك بصورة متكررة في العديد من المحافل الدولية والإقليمية والمحلية، ومن ذلك ما ورد في كلمته التي وجهها إلى الأمة العربية بمناسبة انعقاد القمة العربية الثانية عشرة في فاس بالمغرب عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م بقوله : "إننا نكره أن تبقى هذه المجزرة إلى الأبد، وإننا نفضل السلام واحترام كل طرف للآخر ... لا نريد إلا الاستقرار لهذين البلدين، لا نريد إلا تحكيم العقل وتحكيم المنطق، لماذا تكون هذه المجازر، إنها خسارة على الأمة الإسلامية، والمستفيد هو العدو"(٢٤).

بهذه الروح الشفافة نفسها، والعقل الحكيم، والرغبة الصادقة في تعزيز الوحدة العربية، خاطب الملك فهد بن عبدالعزيز الشعب

---

(٢٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

(٢٣) المرجع السابق، ص ١٨٠ ، ٢٧٨ .

(٢٤) المرجع السابق، ص ١٣٧ .

اللبناني الغارق في دماء التعصب والفرقة، ليس بصفته زعيمًا من زعماء الأمة العربية والسياسيين، وليس بصفته راعيًا للحرمين الشريفين قبلة المسلمين ومرقد نبيهم - عليه الصلاة والسلام - وحسب، ولكن بصفته أخًا مسلمًا عربيًا يتأثر بتأثرهم؛ فيضعف بضعفهم، ويقوى بقوتهم، مصداقا لقول الرسول الكريم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»؛ فقد ناشدهم بكل القيم والأعراف والقوانين ليوقفوا سفك دمائهم، دماء الأطفال، والنساء، والثكالى بقوله : "أخاطبكم اليوم باسم جميع ما يربط بيننا من روابط العقيدة والدم والعرق واللغة والتاريخ .. أخاطبكم من أعماق قلب عربي أدمته المأساة الأليمة التي حلت بأبناء الأمة العربية أن توقفوا سفك الدماء .. سؤال يتردد كل صباح ومساء، سؤال حائر يتكرر وهو: لماذا يقاتل العربي أخاه العربي ؟! لماذا يحرق العربي أرضه، ويشتت أهله، وينسف داره ؟! .. ماذا نقول للعالم الذي يراقب صراع الأشقاء الدامي؟ كيف نقنع دول العالم بعدالة قضيتنا؟ كيف نطالبها بالوقوف معنا لاسترداد أرضنا وحقوقنا وأوطاننا إذا نحن لم نستطع أن نعدل بين أنفسنا لنصرة قضايانا؟! .. أيها الإخوة الأشقاء، أليس جديرًا بنا أن ندخر شبابنا، ونحتفظ بسلاحنا وقدراتنا وقوتنا لمواجهة أعداء الأمة العربية والإسلامية في معركة المصير .. لا أخاطبكم اليوم من موقع مسؤولياتي كخادم للحرمين الشريفين فحسب، ولكني أخاطبكم بوصفي الأخ العربي الشقيق لكل فرد منكم، أشارككم الأفراح والأتراح، وأشاطركم الآلام والآمال، وأتطلع وإياكم إلى يوم النصر على خطى وحدة المصير"(٢٥)، ولم تكتف المملكة بذلك، بل إنها عبرت في أكثر من موقع بأنها لا تؤيد فئة على أخرى، ولا توافق على تصنيف

---

(٢٥) مختارات من الخطب الملكية، ج٢ ، ص ١٦١ ، ١٦٢ ؛ وانظر : يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨٦م، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٧م ، ص ٦٢٣ ، ٦٣٣ .

المجتمع إلى يمين ويسار، لكونها تؤمن بأن المسلمين إخوة في رحاب شريعة سماوية سمحة(٢٦)، وأوضحت المملكة بأنها حريصة على وحدة لبنان أرضا وشعبا، وأنه لن يتأتى لها ذلك طالما ظلت مسرحا لتدخلات الآخرين(٢٧). وقد حرصت المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين على جمع الفرقاء اللبنانيين في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية للتحاور والتفاهم على صيغة موحدة تجمع الشعب اللبناني عرفت باتفاقية الوفاق الوطني سنة ١٩٨٩م(٢٨)، دون أي تدخل من مختلف القوى العربية والدولية، بما فيها المملكة التي اقتصر دورها على الضيافة وتوفير المكان ليس غير.

وحول الحرب الصومالية أكد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز سعي المملكة بكل ما تستطيع لإيقاف مظاهر التوتر، من خلال عدد من الاتصالات بين الأطراف المتنازعة بهدف الوصول إلى صيغة مرضية يلتزم بها الجميع، وقامت المملكة - من أجل ذلك - بجمع الفرقاء في مدينة جدة عام ١٤١٢هـ، وليس ذلك فحسب بل أرسلت كما هي عادتها مساعدات تموينية وبشرية للإسهام في تقديم الخدمات الطبية والإنسانية والاجتماعية لأبناء الشعب الصومالي كما صرح بذلك خادم الحرمين الشريفين في كلمته التي وجهها إلى حجاج بيت الله الحرام سنة ١٤١٤هـ(٢٩).

ولم يختلف الموقف السعودي في مشكلة اليمن الناتجة عن احتدام الحرب الأهلية بين القوى اليمنية عن المواقف السابقة المنبثقة من قواعد العدل والحق، المستندة إلى قواعد الشريعة السمحة، والداعية

---

(٢٦) عنان، محمد، السعودية وهموم العرب خلال نصف قرن ١٩٢٣ - ١٩٧٨م، منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٢٧) المرجع السابق، ص ١٦٤ .

(٢٨) للرجوع إلى نص الوثيقة يمكن مراجعة : يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨٩ - ١٩٩٣م، مرجع سابق، ط١ ، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٦٥٧ - ٦٦٢ .

(٢٩) مختارات من الخطب الملكية، ج٢ ، ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

إلى تحكيم المنطق والعقل للوصول إلى حلول تتفق عليها القوى المتصارعة كما وضح ذلك الملك فهد في مرات عديدة ، ولا سيما أن استقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في اليمن من أولويات القيادة السعودية(٣٠).

موقف المملكة من القضية الفلسطينية :

لن أكون مبالغًا بالقول: إن القضية الفلسطينية بكل حقوقها القاضية باسترجاع المسلمين للقدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، واسترجاعهم لحقوقهم المعنوية والمادية وغيرها من المتعلقات الإنسانية والقانونية لهذا الشعب المسكين، كانت وما زالت الشغل الشاغل لقادة المملكة العربية السعودية منذ عهد المؤسس الملك عبدالعزيز حتى الوقت الراهن، حيث إنها ما فتئت تعلن عن إيمانها العميق بضرورة استرجاع الفلسطينيين لحقوقهم التاريخية والقانونية والسياسية في الكثير من خطاباتها الدولية والإقليمية والمحلية، عاملة على تحقيق ذلك بصمت، منطلقة من ثوابتها الدينية، وعروبتها الصادقة.

وهذا ما أكده الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود في حديثه سنة ١٩٤٦م لوفد اللجنة العربية العليا للبحث في قضية فلسطين بقوله : "لا زلت أضع قضية فلسطين في قلبي، فأعمل لخيرهم، وأرجو الله أن يوفقني لما فيه الحق". وأضاف في حديثه لهم بأنه لا يرغب في الإعلان عن مجهوداته من أجل عودة الحقوق لأصحابها، مؤكدًا أن طريقته تكمن في العمل الصامت الذي ستكشف عنه الأيام حين يُسمح بإخراج الرسائل المتبادلة في ذلك مع زعماء العالم حسب قوله يرحمه الله(٣١)، وبالتالي فقد جعل من ذلك منهجًا اتبعه من بعده

---

(٣٠) المرجع السابق، ص ٣١٦ .

(٣١) عنان، مرجع سابق، ص ١٦٤ .

خلفاؤه في تعاملهم مع الكثير من قضايا الأمة العربية والإسلامية المصيرية.

حملت المملكة على عاتقها مهمة توصيل الصوت العربي الفلسطيني إلى أسماع العالم

لقد حملت المملكة على عاتقها مهمة توصيل الصوت العربي الفلسطيني إلى أسماع العالم، ومهمة إثبات الحق العربي في أرض فلسطين، عبر مختلف القنوات الدبلوماسية، ابتداء بالملك المؤسس عبدالعزيز الذي خاطب الرئيس الأمريكي روزفلت في رسالته الموجهة إليه سنة ١٩٤٥م بقوله : "إن حق الحياة لكل شعب في موطنه الذي يعيش فيه حق طبيعي ضمنته الحقوق الطبيعية، وأقرته مبادئ الإنسانية، وأعلنه الحلفاء في ميثاق الأطلنطي، وفي مناسبات متعددة. والحق الطبيعي للعرب في فلسطين لا يحتاج إلى بيانات؛ فقد ذكرت غير مرة لفخامة الرئيس روزفلت والحكومة البريطانية أن العرب هم سكان فلسطين منذ أقدم عصور التاريخ، وكانوا سادتها. والأكثرية الساحقة في كل العصور"(٣٢)، واستطرد جلالته مدللاً بالبراهين التاريخية المؤيدة لقوله، ومحللاً لما جاء في التوراة العهد القديم من روايات حول ما سبق(٣٣)؛ ولم يكتف بذلك ، بل إنه عبر في مناسبات متعددة عن رفضه لقرار التقسيم الصادر سنة ١٩٣٧م، مؤكدًا للبريطانيين بأن ذلك يتنافى مع الصداقة التي تنشدها بريطانيا مع العرب والمسلمين، ومؤيدًا في الوقت ذاته بالسلاح والمال الثورة العربية في فلسطين(٣٤)، وداعيًا إلى منع

---

(٣٢) وهبة، حافظ، خمسون عاما في جزيرة العرب، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ص ١٦٠ ، ١٦١ .

(٣٣) يمكن الوجوع إلى نص الوثيقة لدى : الثقفي، يوسف، رسالة الملك عبدالعزيز إلى روزفلت عام ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م، بحث منشور في مجلة الدارة، العدد ٤ ، السنة ٢٦، الرياض، ١٤٢١هـ ، ص ٩١ - ١٢٣ ، وكذلك يمكن الرجوع إلى : حبيب، جون، الملك عبدالعزيز وقضية فلسطين، المرجع السابق، ص ٦٣ - ٨٩ .

(٣٤) قاسمية، خيرية، صفحة من شواغل الملك عبدالعزيز رحمه الله بالقضية الفلسطينية، المرجع السابق، ص ١٥ .

استمرار الهجرة اليهودية لها، وتأمين استقلالها(٣٥).

ولم يختلف موقف خلفاء الملك عبدالعزيز من القضية الفلسطينية عن موقفه الحازم بصورة عامة، بل تصاعد رأيهم بحسب تطور الأحداث السياسية والعسكرية بالصورة التي يصفها الملك فيصل - رحمه الله - "بأنها القضية التي لا مثيل لها في التاريخ"(٣٦).

ولقد حرصت المملكة منذ الوهلة الأولى على أن يكون للفلسطينيين العمل البارز في مناقشة قضيتهم، وتمثيل مجتمعهم التمثيل الصحيح، وترك حرية الاختيار لهم لتقرير ما فيه المصلحة الكاملة لشعبهم بالشكل الذي يكفل لهم كامل حقوقهم الشرعية(٣٧)؛ مع دعمها المتواصل لهم في جميع المحافل الدولية، ومناشدتها لدول العالم كافة المحبة للسلام، والداعية إلى مبادئ العدل والمساواة لأن تنصف الشعب الفلسطيني المظلوم من صلف الغطرسة الصهيونية، بحسب ما ورد في خطاب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد - حفظه الله - الذي وجهه إلى حجاج بيت الله الحرام عام ١٤٠٩هـ. ولم تكتف المملكة بذلك، بل أيدت وبشكل مباشر الانتفاضة الفلسطينية الباسلة الهادفة إلى لفت أنظار العالم إلى الممارسات القمعية التي يمارسها الجيش الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، داعية على لسان قائدها الملك فهد إلى حاجة الانتفاضة والقضية الفلسطينية الماسة إلى موقف عربي وإسلامي ودولي موحد وملتزم تجاهها، مشيرة في الوقت ذاته إلى أنه من حق الشعب الفلسطيني على المجتمع الدولي أن يهيئ له جميع الإمكانات والسبل الكفيلة لاسترجاع حقوقه المشروعة على أرض فلسطين، وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس(٣٨) التي أكد

---

(٣٥) المرجع السابق، ص ٣١ ، ٣٢ .

(٣٦) الحجيلان، مرجع سابق، ص٢٣ .

(٣٧) مختارات من الخطب الملكية، ج٢، ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ ؛ وانظر : قاسمية، مرجع سابق، ص ٣١ ، ٣٢ .

(٣٨) مختارات من الخطب الملكية، ج٢ ، ص ٢٣١ .

خادم الحرمين الشريفين وفي مناسبات عديدة موقف المملكة الواضح والثابت منها، والقاضي بحتمية عودتها إلى أهلها الشرعيين، مشيرًا إلى "أن السلام الحقيقي لن يتأتى إلا بعودة الحقوق لأصحابها، وعودة مدينة القدس لأهلها الشرعيين"(٣٩).

لقد أكدت المملكة بصورة دائمة على لسان صانع قرارها الأول الملك فهد - يحفظه الله - بأن "السلام كل لا يتجزأ ، وبأنه حق لا يجب أن تستأثر به فئة دون أخرى، وبأنه لا يقوم ولا يدوم إلا إذا تأسس على العدل"، لافتًا النظر العالمي إلى أنه - أي السلام - "ليس مرهونًا بالوضع الراهن، ولا هو استسلام للقوة والقهر"(٤٠)؛ ولذلك فقد دعت المملكة بصورة دائمة جميع الدول والمنظمات المحبة للسلام لدعم الرغبة التي أجمع عليها ملوك ورؤساء الدول والمنظمات المحبة للسلام، لدعم الرغبة التي أجمع عليها ملوك ورؤساء الدول العربية في مؤتمر فاس عام ١٩٨٢م، والمؤيدة لمقترحات الملك فهد الهادفة إلى إحلال سلام عادم وشامل يضع حلا لمحنة الشعب الفلسطيني بإقامة دولتهم الشرعية على أرض فلسطين وعاصمتها القدس. وتنص المقترحات المقدمة من جلالته على الآتي(٤١) :

١- انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧م في الشرق الأوسط.

٢- إزالة جميع المستوطنات الإسرائيلية من الضفة الغربية وجميع الأراضي المحتلة الأخرى.

٣- منح حرية العبادة لجميع الطوائف الدينية في الأراضي المقدسة.

---

(٣٩) من كلمة وجهها خادم الحرمين الشريفين في افتتاح الدورة الثانية لمجلس الشورى سنة ١٤١٨هـ، انظر : المرجع السابق، ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

(٤٠) المرجع السابق، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٤١) العفيفي، فتحي، سياسة المملكة العربية السعودية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، مجلة الدارة، مرجع سابق، ص ١٦٠ .

٤- الاعتراف بحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة والتعويض لمن لا يرغب في العودة.

٥- وضع الضفة الغربية وقطاع غزة تحت وصاية الأمم المتحدة مدة انتقالية تستمر أشهرا قليلة.

٦- إقامة دولة فلسطينية مستقلة على أن يكون القطاع الشرقي من القدس عاصمة لها.

٧- الاعتراف بحق جميع دول المنطقة في العيش بسلام.

٨- ضمان أي اتفاق من قبل الأمم المتحدة أو بعض أعضائها.

وكان من جراء ذلك أن أيدت المملكة صيغة السلام التي وقعها الفلسطينيون مع الإسرائيليين في القاهرة عام ١٩٩٤م التي بموجبها تسلمت منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة السيد ياسر عرفات مقاليد السلطة في غزة وأريحا، متطلعة إلى بذل المزيد من الجهود في سبيل إكمال مسيرة السلام وصولاً للهدف المنشود(٤٢).

وبعد فإن توجهات المملكة العربية السعودية الخارجية ومنطلقاتها تحتاج إلى المزيد من التأمل، للوصول إلى حقيقة تلك الأطر، وتعريفها بالصورة الواضحة، ومن ثم إخراجها بالشكل المطلوب الذي يتوافق مع جوهرها الناصع؛ وأرجو أن أكون قد وفقت في إبراز بعض هذه الأطر، راجيًا من الله التوفيق.

---

(٤٢) مختارات من الخطب الملكية، ج٢ ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ .